منظمة الصحة العالمية

جمعية الصحة العالمية التاسعة والستون **ج٦٩/٣**
البند ٣ من جدول الأعمال **٢٣ أيار/ مايو ٢٠١٦**
A69/3

كلمة الدكتورة مارغريت تشان، المديرة العامة، أمام جمعية الصحة العالمية التاسعة والستين

السيد الرئيس، أصحاب السعادة، معالي الوزراء، سعادة السفراء، المندوبون الموقرون، الزملاء، سيداتي وسادتي،

تخوض الصحة العمومية صراعاً مستمراً لإبعاد شبح الأمراض المعدية، وتغيير السلوكيات الخاصة بنمط المعيشة، وتوفير المال الكافي للنهوض بهذه المهام ومهام كثيرة غيرها.

ولكن في بعض الأحيان يلزم علينا أن نتوقف قليلاً ونحتفل بالإنجازات.

لقد أثمر الالتزام بالأهداف الإنمائية للألفية عن التركيز والطاقة والابتكار الخلاق، وأثمر في المقام الأول عن المال اللازم للتصدي لبعض من أكبر التحديات التي واجهت هذا القرن في بدايته.

ويمكننا أن نحتفل بـ١٩ ٠٠٠ طفل لم يعودوا يموتون يومياً، وبتراجع معدل وفيات الأمومة بنسبة ٤٤٪، وبنجاح علاج ٨٥٪ من حالات السل.

ويمكن لأفريقيا تحديداً أن تحتفل بانخفاض معدل الوفيات الناجمة عن الملاريا بنسبة ٦٠٪، ولاسيما منذ بذل تحالف الزعماء الأفارقة لمكافحة الملاريا جهوداً كبيرة بدعم من الشركاء في سبيل تحقيق ذلك.

ويمكننا أن نحتفل بأسرع وتيرة للتوسع في العلاج المنقذ للحياة، شهدها التاريخ. فهناك الآن ١٥ مليون من الأشخاص المتعايشين مع فيروس العوز المناعي البشري يتلقون العلاج المضاد للفيروسات القهقرية، بعد أن كان عددهم ٦٩٠ ٠٠٠ شخص في عام ٢٠٠٠.

وقد تطورت ثقافة القياس والمساءلة لإضفاء المزيد من الفعالية على المعونة. وجعلت زيادة الشفافية صوت المجتمع المدني مسموعاً في عملية إخضاع الحكومات والجهات المانحة للمساءلة بشأن وعودها.

وتغيرت صفة الصحة من مستنزف للموارد إلى استثمار يؤدي إلى بناء مجتمعات تنعم بالاستقرار والازدهار والإنصاف.

ويحق لكل شخص داخل هذه القاعة أن يشعر بالفخر إزاء هذه الإنجازات.

لقد نجحتم في إنقاذ ملايين عديدة من الأرواح. وبفضل ابتكاراتكم الاستراتيجية والتقنية أصبحنا على استعداد لأن نتطلع إلى آفاق أبعد. أنتم بالفعل تستحقون الثناء.

وفي هذا العالم المترابط الذي يُعد التنقل الكثيف للأشخاص والسلع سمة من سماته، لم تعد المخاطر المحدقة بالصحة محلية.

فتلوث الهواء من المخاطر العابرة للحدود التي تؤثر في الغلاف الجوي العالمي وتسهم في تغيُّر المناخ.

والممرضات المقاومة للأدوية، بما في ذلك عدد متزايد من "الآفات المستعصية"، يسهل انتقالها بواسطة الأشخاص والحيوانات والأغذية.

وأصبح الآن تسويق الأغذية والمشروبات غير الصحية ولاسيما للأطفال، ظاهرة عالمية.

وصارت حماية جودة المنتجات الصيدلانية أصعب بكثير من ذي قبل، في ظل ما تنطوي عليه عمليات التصنيع من تعقيد وفي ظل اتساع شبكات الإمداد لتضم العديد من الشركات والبلدان.

وكذلك فإن تأمين جودة الإمدادات الغذائية أضحى أشد صعوبة حيث قد تحتوي الوجبة الوحيدة على مكونات أتت من كافة أنحاء العالم، وقد يكون بعضها ملوثاً بممرضات غير مألوفة.

وعلّمت أزمة اللاجئين في أوروبا العالم أن النزاعات المسلحة في الأماكن النائية لن تظل بعيدة.

وأدت فاشية الإيبولا في ثلاثة بلدان صغيرة إلى إصابة العالم بالشلل الناجم عن الخوف والقيود المفروضة على السفر.

وفي العام الماضي تسبب أحد المسافرين في رحلة عمل كان عائداً إلى دياره في جمهورية كوريا، وكان مصاباً بعدوى فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية، في تعطل اقتصاد بلاده ونظامها الصحي.

وتحمل فاشية مرض فيروس زيكا الآخذة في التطور إنذاراً بأن الأمراض القديمة التي ظلت خاملة على مدى ستة عقود في أفريقيا وآسيا قد تظهر فجأة في قارة جديدة لتتسبب في طارئة صحية عالمية.

ويمثل ظهور الحمى الصفراء في المناطق الحضرية في أفريقياً هذا العام، والذي تأكد الآن في المدن الرئيسية لأنغولا وفي جمهورية الكونغو الديمقراطية، حدثاً خطيراً آخر قد يواصل انتشاره على الصعيد الدولي.

وفيما يتعلق بالأمراض المعدية، لا يمكننا أن نثق في الماضي عندما نكون بصدد التخطيط للمستقبل.

فقد أتاحت التغيرات التي طرأت على أسلوب سكنى الإنسان للكوكب العديد من الفرص الجديدة أمام عالم الجراثيم المتغير لكي يستغلها. والمفاجآت ستحدث دوماً.

وأدى احتمال أن يكون لدغ البعوض أثناء الحمل مرتبطاً بتشوهات وخيمة في الأجنة إلى إثارة فزع الجماهير ودهشة العلماء. وأدى تأكيد العلاقة السببية بين العدوى بالمرض وبين صغر الرأس إلى تحول صفة المرض من مرض طفيف إلى تشخيص مريع بالنسبة إلى النساء وخطر كبير بالنسبة إلى الصحة العالمية.

والفاشيات التي تتحول إلى طوارئ دائماً ما تكشف النقاب عن جوانب الضعف المحددة في البلدان المتضررة وتسلط الضوء على الفجوات الكبيرة في تأهبنا الجماعي.

وفيما يتعلق بالإيبولا، تمثلت هذه الفجوة في انعدام أبسط مستويات البُنى التحتية والقدرات الخاصة بالترصد والتشخيص ومكافحة العدوى والرعاية السريرية، مع عدم توافر أي لقاحات أو علاجات محددة.

وأما فيما يتعلق بمرض زيكا، فقد حدث الأمر على بغتة مرة أخرى، في غياب اللقاح والاختبارات التشخيصية التي يعول عليها أو التي تتوافر على نطاق واسع. ومن أجل حماية النساء في سن الإنجاب، ليس لدينا ما نقدمه سوى النصيحة. تجنّبي لدغ البعوض. أخّري الحمل. لا تسافري إلى المناطق التي تشهد سريان العدوى.

ويشكل مرض زيكا إحدى العواقب الأشد وخامة التي ترتبت على فشلنا في تحقيق الإتاحة الشاملة لخدمات الصحة الجنسية وتنظيم الأسرة. وتشهد أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي أعلى نسبة من حالات الحمل غير المقصود في العالم.

وفي المقام الأول، يمثل انتشار مرض زيكا وعودة حمى الضنك إلى الظهور وظهور مخاطر الشيكونغونيا، الثمن الذي ندفعه مقابل الفشل السياسي الهائل الذي قوض مكافحة البعوض في العقد الأول من السبعينيات.

أما الدرس المستفاد من الحمى الصفراء فكان شديد القسوة. فقد فشل العالم في استخدام أداة وقائية ممتازة بحيث تتحقق ميزتها الاستراتيجية الكاملة. فعلى مدى أكثر من عقد، حذرت المنظمة من أن التغيرات الديمُغرافية والتغيرات التي طرأت على أنماط استخدام الأراضي في أفريقيا قد هيأت الظروف المُثلى لانفجار فاشيات الحمى الصفراء في المناطق الحضرية.

وشهدت أفريقيا توسعاً حضرياً سريعاً وطليقاً مسجلة أسرع معدلات النمو في العالم. ويمكن أن ينقل المهاجرون من المناطق الريفية والعاملون في مواقع التعدين والبناء في الوقت الحاضر الفيروس إلى المناطق الحضرية التي قد تنفجر أوضاعها في أي لحظة نظراً إلى كثافة السكان غير المطعمين وشدة تفشي البعوض الذي تكيف تكيفاً شديداً مع الحياة الحضرية وضعف البنى التحتية التي تجعل مكافحة البعوض أمراً شبه مستحيل.

وقد توفر لقاح ناجع ومأمون ومنخفض الكلفة يحمي من الحمى الصفراء طيلة العمر في العالم منذ عام ١٩٣٧ أي منذ حوالي ٨٠ سنة. وينبغي لا بل يجب استخدام اللقاحات المضادة للحمى الصفراء على نطاق أوسع بغية حماية الأشخاص المقيمين في البلدان التي يتوطنها المرض. فالحمى الصفراء ليست مرضاً خفيفاً.

ودعوني أنذركم إنذاراً حازماً. فما نلاحظه في الوقت الحالي هو أشبه أكثر فأكثر بعودة ملحوظة لخطر الأمراض المعدية التي تستجد وتعاود الظهور. والعالم غير مهيئ للتصدي لذلك.

ودعت التقييمات الرفيعة المستوى للاستجابة للإيبولا باستمرار إلى تعزيز قدرة النُظم الصحية على الصمود كخط دفاع أول. وهذا هو أيضاً الموقف المتخذ في مؤتمر قمة مجموعة الدول السبع المقرر عقده لاحقاً خلال هذا الأسبوع في اليابان.

وأرحب بالتقييمات الخارجية المشتركة الحالية التي تفحص قدرات التأهب والاستجابة في عدة بلدان. ولابد من مواصلة التقييمات كأمر ملّح للغاية وأداة تتولى المنظمة الإشراف عليها وتنسيقها.

ومنظمة الصحة العالمية هي منظمة تتمتع بطابع الشرعية العالمية لتنفيذ اللوائح الصحية الدولية (٢٠٠٥). ويجب اقتران التقييمات بجهود مدعومة بموارد مكثفة لسد الثغرات. وقد تعهدت عدة بلدان سخية بدعم ٧٦ بلداً من أجل إرساء القدرات الأساسية المتصلة باللوائح الصحية الدولية. وأحثكم على الوفاء بهذا الوعد.

والبند المدرج في جدول أعمالكم والمنطوي على العواقب الأكثر انتشاراً من حيث الخطر الذي يمكن أن يجتاح العالم بسرعة نظراً إلى ما نواجهه في الوقت الحالي وإلى المفاجئات التي لا محال من ظهورها هو البند المتعلق بإصلاح عمل المنظمة في مجال إدارة الطوارئ الصحية.

وتقرير الأمانة الوارد في الوثيقة ج٣٠/٦٩ يعطيكم لمحة عامة عن خطة تصميم البرنامج الجديد الخاص بالطوارئ الصحية والإشراف عليه وتنفيذه وعن متطلبات تمويله. ويدل إنشاء هذا البرنامج على حدوث تغيير أساسي في المنظمة يسمح بتعزيز وظائفنا التقنية والمعيارية التقليدية من خلال قدرات تشغيلية لابد منها لمواجهة الفاشيات والطوارئ الإنسانية. وقد مضى تنفيذ هذا التغيير قدماً بسرعة. ويُواءَم تصميم البرنامج مع المبادئ المتعلقة بتنفيذ برنامج موحّد يسير على خط واضح واحد من خطوط السلطة ويمتلك قوى عاملة واحدة وميزانية واحدة ومجموعة واحدة من القواعد والعمليات ومجموعة أخرى واحدة من مقاييس الأداء المعيارية.

وأُنشأت لجنة استشارية مستقلة معنية بالإشراف على الطوارئ في شهر آذار/ مارس. وترصد هذه اللجنة المؤلفة من ثمانية أعضاء وضع البرنامج وأداءه. وستقدم اللجنة تقريراً عن نتائجها إلى جمعية الصحة عن طريق المجلس التنفيذي.

وأحثكم على إيلاء هذا البند من جدول الأعمال العناية الجدية التي يستحقها. فأي تقصير في توفير الدعم السياسي والمالي التام للبرنامج سيعيق استجابة المنظمة في الحال وفي المآل.

ولم يعد هناك إلا عدد قليل من التهديدات الصحية المحلية. كما أن هناك عدداً قليلاً من التهديدات الصحية التي يمكن لقطاع الصحة وحده أن يديرها.

وإذ يخوض المجتمع الدولي حقبة التنمية المستدامة، ويتأثر وضع الصحة العالمي بثلاث كوارث زاحفة هي تغيّر المناخ وفشل عدد متزايد من مضادات الميكروبات الداعمة وزيادة الأمراض غير السارية المزمنة بوصفها الأمراض الفتاكة الرئيسية في العالم. وليست هذه الكوارث طبيعية. بل هي كوارث من صنع الإنسان تنجم عن سياسات تمنح الأولوية للمصالح الاقتصادية على حساب الشواغل بشأن أرواح البشر والكوكب الذي يدعمها.

والمسار الذي يسير فيه العالم هو كالآتي: إن حرق الوقود الأحفوري يقوي الاقتصادات وإن الأدوية لمعالجة الاعتلالات المزمنة هي أكثر تحقيقاً للأرباح من علاج قصير بالمضادات الحيوية وإن الأغذية الشديدة التصنيع التي تتسم برخصها وملاءمتها ولذة طعمها لها حصة الأسد من السوق مقارنة بالفواكه والخضر الطازجة.

وستبلغ هذه الكوارث الزاحفة في حال عدم مراقبتها نقطة حرجة في نهاية المطاف بحيث يتعذر إصلاح الضرر الناجم عنها.

وإن حد الدرجتين المئويتين للحرارة المؤدية إلى تغيّر المناخ المسبب للكوارث هو أفضل طريقة لتوثيق ذلك. وبالنسبة إلى مقاومة مضادات الميكروبات، فنحن على قاب قوسين من حقبة ما بعد المضادات الحيوية التي ستصبح فيها الأمراض المعدية الشائعة فتاكة من جديد. وإذا رغبتم في معرفة عواقب الأسواق المشبعة بالأغذية والمشروبات غير الصحية، فيمكنكم الاطلاع على تقرير اللجنة المعنية بالقضاء على سمنة الأطفال.

والغرض المنشود من خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠ هو التأكد من تجنب هذه الكوارث وعدة كوارث أخرى. وتستهدف الخطة كأدنى حد إحداث تغيير في طريقة سير العالم والنظم الدولية التي يخضع لأحكامها. والأهداف والغايات المنشودة هي واسعة النطاق وبعيدة الرؤية والمطمح. وقد انتقدها البعض على أنها أهداف وغايات خيالية غير ميسورة الكلفة وبعيدة المنال وبعيدة عن الواقع.

وأنا لا أتفق مع ذلك. فتلك الرؤية تدعو إلى التفاؤل والأمل إلا أنها تترسخ ترسخاً شديداً في واقع عالم هو في حاجة ملّحة إلى التغيير.

والخطة تطمح إلى التصدي على أساس التكامل والتفاعل للأسباب الجذرية لمشاكل العالم العديدة انطلاقاً من الفقر المدقع ووصولاً إلى عواقب الإرهاب والعنف. وتمنح الخطة الأولوية للأشخاص المهملين. ونحن ندرك ما يقتضي ذلك.

ويعاقَب الفقراء من جراء فشل سوق البحث والتطوير ومن جراء فرض الرسوم على المستفيدين. وتثني الرسوم المفروضة على المستفيدين الناس عن طلب الرعاية إلى أن يتفاقم وضعهم الصحي ويصبح من الأصعب ومن المكلف إلى حد بعيد تدبيره العلاجي. وداء السكري هو أول مثال على ذلك. وتسبب هذه الرسوم هدر الموارد والأرواح.

والخطة لعام ٢٠٣٠ هي واسعة النطاق في الواقع مثلها مثل محددات الصحة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية. وتتجلى مزايا التصدي لهذه المحددات الواسعة النطاق بوضوح في الإطار التشغيلي لتنفيذ الاستراتيجية العالمية لصحة المرأة والطفل والمراهق.

وتحتل الصحة مكاناً مرموقاً ومحورياً يعود بالنفع على الخطة بأكملها. وفي نهاية المطاف فإن الهدف الأسمى لكل الأنشطة الإنمائية، سواءً أكانت تتعلق بتصميم البيئات الحضرية أو توفير الطاقة الحديثة للمناطق الريفية، هو تقديم المساندة اللازمة لكي يتمتع الناس بصحة طيبة.

وفي خطة تتسم بالتفاعل فإن المحدِدات العريضة للصحة، المترافقة مع المنهجيات التي تتيح لنا تتبع التقدم، تُحدث تحسينات في الصحة، وهو ما يشكل علامة موثوقة على تحقيق تقدم كلي.

وقد اعتمدت الدول الأعضاء خرائط طريق بالتدابير الاستراتيجية للمضي قدماً على طريق تحقيق الأهداف الصحية المنفردة. وتحدد كل هذه الاستراتيجيات والخطط تقريباً ابتكارات ذات أولوية في ميدان البحوث والتطوير لتعزيز آفاق بلوغ الأهداف الطموحة.

وبالطبع فإن الابتكارات تساعد، غير أن الأهداف لن تكون عملية وذات تكلفة معقولة ما لم نتخلص من الهدر وعدم الكفاءة. ونحن نقوم بذلك من خلال رعاية متكاملة تركز على الناس وتغطي مجرى العُمر بأكمله،

وذلك منذ ما قبل فترة الحمل وحتى الشيخوخة ضمناً، كما وتضع الوقاية في موضع الصدارة. ويدفع هدف التغطية الصحية الشاملة بنا في هذا الاتجاه.

والتغطية الصحية الشاملة هي الهدف الذي تستند إليه كل الأهداف الأخرى. فهو التعبير الأسمى عن العدالة التي لا تسمح بتخلف أحد عن الركب. كما أنها الفرصة المثلى لتلبية تطلعات الناس بشأن الرعاية الشاملة، وهي لا تدفع بهم إلى ما دون خط الفقر.

ولدينا أيضاً موارد أخرى نستقي منها. فقد عُقد المؤتمر العالمي الرابع لـ "المرأة نبع الحياة" في الأِسبوع الماضي في كوبنهاغن. ووفر هذا المؤتمر الدليل على الطاقة التي يمكن إعتاقها عند تحرير النساء من قيود العنف، والتمييز، وحالات الحمل غير المقصود.

كما تقع على عاتق قطاع الصحة مهمة إبراز بعض الركائز الأخلاقية المبدئية في عالم فقد، كما تدل كل المظاهر العملية، بوصلته في ميدان الأخلاق. إن علينا أن نعرب عن غضبنا العارم إزاء عمليات القصف الأخيرة للمستشفيات ومخيمات اللاجئين في سورية واليمن، واستخدام الاغتصاب والتجويع كأسلحة للحرب، وقتل المدنيين الأبرياء سعياً وراء تحقيق أهداف إرهابية.

إن علينا أن لا نكتفي بالاحتفال بذلك الكم الوافر من الإنجازات والدروس المستفادة خلال حقبة الأهداف الإنمائية للألفية، بل ينبغي أن تشمل احتفالاتنا كل نصر يزيل إلى الأبد تهديداً من تهديدات الصحة.

وفي وقت سابق من هذا الشهر أعلنت منظمة الصحة العالمية أن الهند قد تمكنت من استئصال الداء العُليقي من صفوف العدد الهائل من سكانها. وفي العام الماضي انخفضت الحالات البشرية من مرض النوم إلى أدنى مستوى لها منذ بدء عمليات جمع البيانات قبل ٧٥ عاماً. وتم الكشف هذا العام عن حالتين فحسب من حالات داء الدودة الغينية، وكلتاهما في تشاد.

وبعد اعتماد كوبا كأول دولة في العالم تتمكن من القضاء على سراية فيروس الأيدز والزهري من الأم إلى الطفل فإن لجنة الاعتماد العالمية ستنظر في أمر موجة ثانية من البلدان لاعتمادها هذا الأسبوع.

ولم يكن هدف استئصال شلل الأطفال أقرب منالاً قط مما هو عليه الآن، حيث تنعم أفريقيا منذ عامين تقريباً بالتخلص من فيروس شلل الأطفال البري.

وخلال فترة أسبوعين فحسب في نيسان/ أبريل، نجح ١٥٥ بلداً بالتحول من اللقاح الفموي الثلاثي التكافؤ إلى اللقاح الفموي الثنائي التكافؤ لشلل الأطفال، وهو ما يشكل أضخم عملية سحب منسقة للقاحات في التاريخ. وأني لأعرب عن شكري لكم ولأفرقتكم القطرية على هذه المأثرة الرائعة. ويمثل ذلك معلَماً آخر على طريق تخليص العالم إلى الأبد من هذا المرض المعطِّل.

ولقد أحرزنا انتصارات على جبهات أخرى. إذ يمارس المزيد من البلدان حقه المشروع في اشتراط التغليف البسيط لمنتجات التبغ، حيث كانت المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية آخر المنضمين إلى القائمة. وقررت إحدى شركات التبغ العملاقة عدم استئناف القرار مما يزيد من حلاوة النصر.

تلك هي انتصارات حاسمة. فليس بمقدور بلد أن يأمل في التخفيف من أعباء الأمراض غير السارية ما لم يتم إصدار تشريعات قوية لمكافحة التبغ بما يتماشى مع اتفاقية منظمة الصحة العالمية الإطارية بشأن مكافحة التبغ.

ويدرك زعماء العالم حق الإدراك التحديات الجسيمة التي تؤثر على الصحة العمومية عموماً، وعلى هذه المنظمة على وجه الخصوص.

وقد تركزت الكثير من الاجتماعات الأخيرة على الأزمة الناشبة بسبب مقاومة مضادات الميكروبات. وأني لأتقدم بالشكر إلى الدول الأعضاء لما أبدته من جدية إزاء هذه الأزمة، بما في ذلك الحاجة الملحة للحوافز اللازمة لإعداد منتجات جديدة.

ويشعر زعماء العالم بالقلق من مشكلة المخدرات في العالم والحاجة إلى توسيع وموازنة الاستجابة من خلال اعتماد نهج للصحة العمومية.

كما أنهم قلقون من أن نظام العمل الإنساني ينوء تحت ما يُلقى عليه من أعباء وأنه بحاجة ماسة إلى إصلاح. وينعكس هذا القلق في عقد أول مؤتمر قمة عالمي للعمل الإنساني هذا الأسبوع في إسطنبول بتركيا. كما تساورهم مشاعر القلق بسبب التكاليف الملقاة على كاهل الاقتصادات وكذلك القطاعات الصحية، والناجمة عن الأمراض غير السارية. وبفضل الحدث الناجح في باريس في العام الماضي فإن العالم يمتلك الآن معاهدة مناخية هي اتفاق باريس.

أود أن أعرب عن شكري للدول الأعضاء لإدراكها للأهمية الحاسمة لتعزيز النُظم الصحية وتبني رؤية التغطية الصحية الشاملة. لقد اعتمدتم الكثير من القرارات التي تُسهم في تحقيق هذا الهدف. وإننا نتمتع الآن بموقع يتيح لنا تنفيذ أهداف التنمية المستدامة.

كما أنكم على وشك إنجاز إطار متين للانخراط مع الجهات الفاعلة غير الدول مما سيضمن تعميم مجال رئيسي من مجالات الإصلاح.

إن جمعية الصحة هذه، بما فيها من عدد غير مسبوق من بنود جدول الأعمال والمشاركين، تؤكد لي أنكم تتوقعون الكثير من المنظمة.

لقد دخلنا حقبة جديدة طموحة للتنمية الصحية. ونحن نمتلك أساساً صلباً من النجاحات التي يمكن البناء عليها.

إن منظمة الصحة العالمية، مع شركائها العديدين، جاهزة لإنقاذ الملايين والملايين من الأرواح. وإنني أدعوكم إلى أن تتذكروا هذه الغاية ونحن نتفحص جدول أعمال يمكن أن يعني الكثير للمستقبل.

شكراً لكم.

= = =